حول نسب الفاطميين

جاء فى العدد (٤٨٤) من مجلة « الرسالة » الغراء كلمة تحت عنوان « حول نسخ الأحكام » تأثر فيها كاتبها بأقوال خصوم الفاطميين السياسيين من بنى العباس ومن كان ينتمى إليهم من العلماء ، ولو أنه رجع إلى أقوال المنصفين فيهم كشيخ المؤرخين ابن خلدون لخفف شيئاً من غلوائه فى أمر هؤلاء الفاطميين ، ولعلم أن نسبهم صحيح إلى اسماعيل بن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وقد يكون الطعن فى دينهم كالطعن فى نسبهم ، أثراً من آثار السياسة التى تبيح كل شىء فى سبيل أغراضها ، وتذهب إلى أن الغاية تبرر الواسطة ، فتذيع الكذب بين الناس وتنصر الباطل على الحق

والظاهر بعد هذا كله أن القول بإعطاء الإمام حق نسخ الأحكام كما حكاه أبو جعفر النحاس ، غير ما يحكى عن بعض الاسماعيلية فى الإمام السابع الذى ينسخ الشرائع ، لأن نسخ الشرائع يدخل فيه أصولها كالصلاة وغيرها ، أما نسخ الأحكام فالظاهر أنه خاص بالأحكام الجزئية التى تتأثر بالظروف والأحوال ، وتدعو الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد لسبب من الأسباب ...

(...)

كرملة الكرملى

أعود فأصحح للأب أنستاس مارى الكرملى أخطاء أخرى وقع فيها ؛ والأمر فى هذه المرة أخطر ، فقد جمع إلى الأخطاء التاريخية أخطاء روحية ؛ ولقد قال « ربليه » قدس الله روحه : « إن علما بلا ضمير خراب للنفس » ؛ فما بالك إذا كان العلم زيفاً حمله الرافدان ؟

لو أن الأب أنستاس مارى الكرملى العالم النحرير والروحانى المتواضع زف إلى ما يقول « كرملة » يستسيغها الذوق لقبلتها ، ولكن كرملته حصرم تمجه النفوس . إن فى نفسى إيماناً بأن العلم والروحانية لا ينزلان بنفس إلا هذباها ، ونحن كلما ازددنا توغلاً نحو آفاق المعرفة ازددنا دنوا من حدودها وإحساساً بتلك الحدود ، فتهدأ جوارحنا ويسكن غرورنا . وأنا قد أقبل من رجل أن يعتز بماله إن كان صانعاً أو تاجراً ، وأما العالم فالزهو منه ممقوت

إن روح العلم الصحيح لا تعرف نفثات الكرملى . العلم تواضع كما أن الدين محبة ؛ وأين هذا من كلام الأب ؟ أنا لا أعرف التأكيد فى أى شىء ولذا قلت — أيها الأب أنستاس مارى الكرملى — إذا صح هذا أو ذاك . والأب الجليل العالى الكعب فى كل أمر لا بد قد قرأ أفلاطون ، ولا بد أن أستاذه قد قال له سنة ١٨٨٧ م إن موضع الجمال فى أسلوب أفلاطون موضع السحر ، موضع السمو ، كثيراً ما يتركز فى الحرفين An اللذين يضافان إلى الأفعال اليونانية لينقلا التأكيد إلى الاحتمال ، والأب الخطير يستطيع بلا ريب أن يترجم An بـ إذا صح الخ ...

ثم إننى أيها الأب أنستاس مارى الكرملى لم أستنجد بعلم الأستاذ كراوس كما أنى لم أغتصب منك أسلابك العلمية الثمينة ، وإنما الذى حدث أن مجلة الرسالة لم تنشر مقالى كاملاً كما تستطيع أن تلاحظ ذلك من ابتدائه بنقط ، ولو أنها نشرته كاملاً لرأيت أنى سلمت لك بأنك تعرف أسماء أتيقوس وتيودسيوس وغيرهما ممن لا يعتبرون إلا قطرة فى بحرك الملح الأجاج . ولو أنها نشرته كاملاً لعلمت أنى لم أنشر هذا المقال رداً عليك وأنا لا صبر لى على قراءة تحقيقاتك التى تبعدها عنى روحك الوديعة الطاهرة ، وإنما أردت أن أحاج الأستاذ كراوس لأننا اختلفنا فى هذا النص قبل أن ينشر الكتاب . وأنت أيها الأب أنستاس مارى الكرملى لا ريب مرهف الحس لطيف الذوق فكيف غاب عنك أن قولى : « اللهم إلا أن يكون لدى الأستاذ كراوس علم آخر ... الخ » لا يفيد طلب النجدة

سلمت إذن للأب الكبير بأنه قد عرف اسم أبيقوس ، ولكننى أنكرت عليه أن يعرف عنه أكثر من ذلك بدليل أنه زعم أنه رومانى وهو يونانى . ولقد فطن إلى هذا الأب نفسه عند ما راجع دفاتره وراجع العلماء الأفاضل الذين يجتمعون معه فوضعوا خطأ — كما يقول — تحت جملتى التى تحمل هذا المعنى ، ووضع الخط هذا وتأمين الأب على وضعه هو طريقة العالم

الفاضل فى الاعتراف بخطئه . وإذن فقد كنت محقًّا فى أن أصحح له هذا الخطأ

بقيت مسألة الكراكى التى لم أعثر بها فقلت : « إنها خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودس وأتيقوس شيئاً » . وهذا حق ، فأنا لم أعثر بها فى حياتهما ؛ وأعود فأكرر أننى لم أعثر بها ولا أقول لم أعثر عليها — كما يقترح اللغوى الكبير الأب الكرملى — لأن المعنى الذى أريد أن أعبر عنه هو أننى لم أعثر بها ، أى لم أقع عليها . وللأب الفاضل أن يظهر علمه — إذا أراد — فى غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق فى أن يتصرف فى اللغة وفقاً للمعنى الذى فى قلبه

وأما مسألة أبيقوس ونسبة الكراكى إليه ، فهذا لن يفيد الأب الكرملى فى شىء ، لأن النص يقول : « إن تودورس أو قومودس ملك يونان كتب إلى أبيقس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية » ... وإذا كان من الثابت أن قومودس قد عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد ، وأن أبيقوس الذى فرح الأب باكتشاف أحد أصدقائه لوجوده قد عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، فإنه يكون بين الرجلين ثمانية قرون . أيريد الأب الشيخ أن يطير فى طائرة عصرية ليجمع بين العصرين !

لم يكن لى أن أتجه نحو أبيقوس ما دمت قد رجحت كومودس هذا ما يستحق الرد فى كلام أوفى كرملة الكرملى ، وأما ما دون ذلك ، فالعلم منه برىء .

محمد منصور

مدرس بجامعة فاروق الأول

القضاء العشائرى فى العراق

كتاب قيم ألفه الشيخ فريق المزهر آل فرعون عضو البرلمان العراق ورئيس عشائر الفتلة ، يبحث فى الأصول والقواعد العشائرية والعادات المألوفة لدى القبائل العراقية ، ويتناول تدوين تلك الأحكام المرعية والعادات المتبعة التى ساروا عليها منذ ثمانمائة سنة ، كما ضمنه عادات العشائر العراقية وآدابهم وتقاليدهم وأساليبهم وسائر شؤون حياتهم الاجتماعية

والحق أن للقبائل والعشائر العراقية تاريخاً حافلاً بالعادات والتقاليد المتوارثة ، يحرصون عليها ويتواصون بالتمسك بها وعدم التفريط فيها ؛ ومن هذه التقاليد المرعية يتألف قانون غير مدون له قدسية سائر القوانين المدنية وحرمة بقية الأنظمة الاجتماعية ، يرجعون إليها فيما يتعلق بخلافاتهم وأحكامهم ومشاكلهم العديدة وفيما يخص سائر أمورهم الاجتماعية والشرعية والاقتصادية ، ولهم فيما يتفرع من هذه النواحى وفيما ينجم عنها من ملابسات ، أحكام وآراء وحلول تنطوى على البراعة والمهارة والطرافة بقدر ما تنطوى عليه من صرامة وشدة وقوة مستمدة من ذكاء وقاد وإحساس مرهف ، وحرص شديد يبلغ حد العصبية على محافظة العنعنات والنزعات العربية الخالصة

ولم يتهيأ إلى الآن من يعنى بدراسة هذه التقاليد والسنن ، وما تكون منها من أحكام ومن أصول أصبحت على مر الزمن قانوناً مرعيًّا نافذاً صارماً ، فيؤدى بذلك إلى التاريخ العربى خدمة كبيرة ، ويوسع مجالاً للحياة القبلية العربية فى العصر الحاضر ، أن تأخذ مكانها فى التدوين إلى جانب الحياة المدنية ، حتى انبرى لها الشيخ فريق المزهر آل فرعون ، وهو من هذه القبائل العربية الضاربة على ضفاف الفرات ، فسد فراغاً فى خزانة الأدب والتاريخ العربيين ، بما قام به من وضع سجل تاريخى حافل فى هذا الصدد ، وهو كتاب « القضاء العشائرى » الذى بحث فيه « نظام دعاوى العشائر » ، وهو القانون الوحيد الذى يسير عليه القضاء الإدارى فى العراق ؛ وقضايا الحق النازع فيه قسمان : قضايا موضوعية ، وقضايا أصولية ، أو شكلية ؛ وقد وضع « العرف العشائرى » قواعد خاصة لكل من الحالين ، وقد كانت هذه القواعد معمولاً بها فى العراق لفض المنازعات بين القبائل منذ أقدم الأزمنة إلى الآن .

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشا ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)